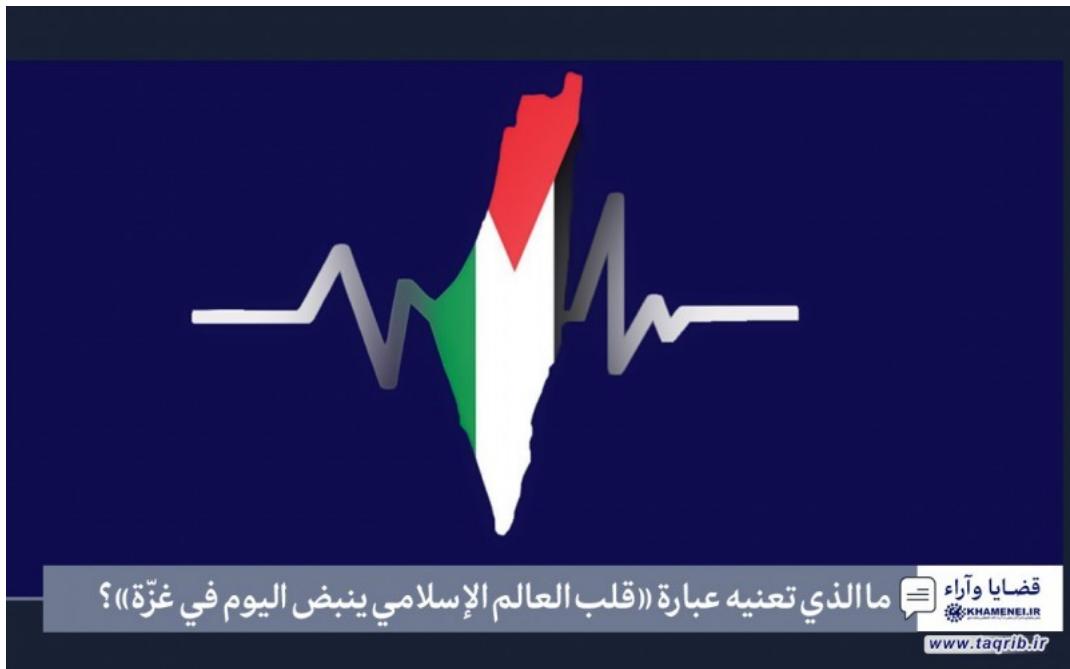


ماذا الذي تعنيه عبارة "قلب العالم الإسلامي ينبعض اليوم في غزة"؟



ينشر موقع IR.KHAMENEI.IR الإعلامي تقريراً يشرح ما تعنيه عبارة «قلب العالم الإسلامي ينبعض اليوم في غزة»، التي جاءت في خطاب الإمام الخامنئي بتاريخ 3/1/2024 وكيف يمكن أن تكون غزة النّبض الذي يضخّ الحياة في عروق الأمّة الإسلامية رغم ما تعاينه من قسوة الإجرام الصهيوني وكثرة الشهداء والجرحى.

كانت الجملة التي تسرّبت قبل غيرها في الـ3 من كانون الثاني/يناير من خطاب الإمام الخامنئي، الذي أُلقيَ في حسينيّة الإمام الخميني: «قلب العالم الإسلامي ينبعض اليوم في غزة». إنَّ النّبض رمز الحياة والكون على قيد الحياة، فإذا أرادوا تحديد كون أحدهم حيًّا أو ميتاً، فيفتحُ صون نبضه أولاً. إنَّ أول سؤال يتบรร إلى الذهن الآن هو الآتي: كيف يمكن لمدينة تعرّضت على مدى 100 يوم لأنواع القصف والهجوم البري من الكيان الصهيوني، إذ قُتل أكثر من 22000 فلسطيني ودُمرَ ما نسبته 60% من بيوتهم وشُرِّدَ وتهيَّدَ عددٌ يفوق التصور، كيف يمكن أن ينبعض في هذه المدينة قلب العالم الإسلامي؟ وهل يمكن أن تنبع الأرقَّةُ والشوارع المرميمَة عليها جثامين المدنيين العزل، التي قد تهوي عليها في أي لحظة قنابل تزن أطناناً وتسفك دماء العشرات دفعَة واحدة؟

ربّما من المضوري التخلّي عن النظرة السائدة تجاه الموت والحياة من أجل فهم هذه الجملة على نحوٍ أكبر، وأن نستعين بنظّارة مختلفة عن نظّارة العصر الحديث لمنظر إلى هذه القضية. يصعب النظر عبر النظّارة التي تعدّ الحياة الدنيا الوجود كله إلى غزّة على أنها القلب النابض، فمن يضع على عينيه مثل هذه النظّارة قد لا يرغب حتّى في متابعة أخبار غزّة وأحداثها أو تقديم العون إلى أهاليها أو قد يسعى إلى الذّأي بنفسه عن المعركة التي تعرّض حياته للخطر. مثل هذه النظّارة لا تعرّض غزّة النابضة، بل جر العالم الإسلامي الذي لا يلتئم.

أما هذه الرؤية الكونيّة، توجد نظّارة لا تحدّ الحياة بهذا العالم المادي ولا يجعل همّها وغمّها إغراق الذّفس في أنواع الترفية والتسلية اليوميّة، بل ترى أنّ هذه الدنيا مقدّمة للحياة التي تليها. لا يوجد في هذا الفكر أساساً أيّ معنى للنهاية، ولكن مفهوم الموت يبقى حاضراً. عندما تكون النهاية غير حاضرة، يختلف تعريف الموت أيضاً.

الحياة والهلاك في القرآن الكريم

هذه النظرة الثانية هي ذاتها النظرة التي عدّ الإمام الخامنئي عبرها غزّة قلب العالم الإسلامي النابض. يُعدّ مفهوماً «الحياة» و«الهلاك» في القرآن الكريم من المفاهيم المتقدّرة. يقول الإمام الخامنئي عند تفسير مفهوم الحياة في الآية 24 من سورة الأنفال: «يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَدُوا اسْتَجِيدُوا لِتَّمَهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاهُمْ لِمَّا يُحِبِّي كُمْ». ما هي هذه الحياة التي يدعونا الله ورسوله إليها؟ إنّها في كلمة واحدة هذه الحياة التي تليق بالإنسان... الحياة الظاهرة والنقيّة لا تقتصر على الأكل والتلذّذ وإرضاء الشهوات، فهذا الأمر لم يكن ليحتاج دعوة الله ورسوله، وإنّ نفس أيّ إنسان تدعوه إلى الحياة الحيوانيّة، والحيوانات كلها تسعى وراء الطعام وإرضاء شهواتها وإشباع بطونها وتكافح للبقاء ساعة أكثر على قيد الحياة. الحياة الطيّبة هي أن تكون هذه الحياة في سبيل الله ومن أجل تحقيق الأهداف السامية». يواصل سماحته شرح هذا الموضوع قائلاً: «إنّ الحياة التي يستحقّها الإنسان لا تقتصر على لقمة العيش والماء، فالإنسان يحتاج هدفاً وعشقاً ومحبةً وغايات سامية وحربيّة وعزّة، لو أنّهم أشبعوا بطون شعبٍ معينٍ أيضاً، وسلبوه السيادة والعزّة وجعلوه منصاعاً للأوامر وذليلًا، كيف سيكون في مقدوره أن يشعر بالهناء والاستقرار؟»

كما إنّ مفهوم الموت في القرآن مفهومٌ يتخطّى موت الجسم فقط. يقول الإمام الخامنئي في تفسير

الآيتين 41 و42 من سورة البراءة عن معنى ال�لاك في القرآن: «الهلاك» لا يعني الموت وخروج الروح من الجسد، وإنّ «التعرّض للهلاك الأبدى» لا يعني الموت الأبدى أيضًا. لم يُستخدم هذا المعنى في عدد من نصوص القرآن والروايات أيضاً، بل للهلاك مفهومٌ عام يعني «الزوال الروحاني والسقوط المعنوي وموت الفضائل»، ولهذا المفهوم معنى أوسع وأدقّ، لأنّ كثيرين يُعدون في عداد الأشقياء والمorts رغم كون أرواحهم في أجسادهم. هؤلاء أشقياء التاريخ أيضًا، فأسرى الشقاء المادي من هذا القبيل». يخاطب الله عزّ وجل المؤمنين في القرآن الكريم قائلاً: {وَأَنْفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا تُلْقِوْا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّحْرُكَةِ} (البقرة، 195). غاية الأمر أنّ ال�لاك في القرآن لا يعني غياب التقاط الأنفاس وموت الجسد فقط، بل هو يعني الفناء والسقوط على المستوى الروحاني والمعنوي. إنّ السقوط الأخلاقي والاجتماعي وزوال ماء الوجه هلاكٌ [أيضاً]، فالسقوط في مسار التكامل وفقر المجتمع على المستوى المادي هلاك، وإنّ كون المجتمع رازحًا تحت وطأة الظلم سقوط».

إنّ القرآن الكريم قدّم مسار الهروب من هذا السقوط وبلوغ تلك الحياة المنشودة أيضًا، وهي الجهاد في سبيل الله والصّبر على المصاعب في ذاك المسار. يُمكن سماع صوت الله من الآيتين 24 في سورة الأنفال و195 في سورة البقرة يقول للإنسان أنّ سبيلاً الفرار من ال�لاك الحقيقي والتخلي من قيود المستكبرين والطالمين والطريق نحو السيطرة على الوساوس المادية وهذه الأمور كلّها منوطة بالجهاد في سبيل الله بالمال والأنفس. «يقول القرآن الكريم إنّهم لا يُلقون أنفسهم في التهلكة مع غياب التحاقهم بالجهاد فقط، بل يحرّون المجتمع أيضًا نحو التهلكة. توضح هذه الآية أنّ كلّ مجتمع يتهرّب من المسؤوليات الإلهية ولا يُبدي الاستعداد لتحملها... يكون قد ساق نفسه نحو التهلكة. إذاً تُنبئ هذه الجملة بعواقب السوء والعواقب المريرة لانعدام الالتحاق بالجهاد». لا بدّ أن يتراافق هذا الجهاد مع الصّبر على المصائب التي تليه، ونتيجةً لهذا الصّبر، تخلّص الاستقامة والجهاد الإنسان من الموت وتُحييانيه من جديد. ((1): 7-153)

غزة، النبض الذي يضخُّ الحياة

اليوم، نجد أنّ هذا النوع من الحياة في فلسطين وغزة، الحياة الناتجة من المقاومة في سبيل الحقّ والصّمود في وجه الطالم المعتدي، يوجد في أعلى مستوياته. بتعبير آخر، تحولت قوى المقاومة الفلسطينية وسائر الفلسطينيين في غزة اليوم إلى قلب العالم الإسلامي النابض عبر إبرازهم العناصر القرآنية الملهمة للحياة، وضخّوا الحياة في الأمم ومجتمع المسلمين (وغير المسلمين أيضًا). لقد

غمر جهاد أهالي غزّة وصبرهم ومقاومتهم العالم الإسلامي بحرارة دعم المظلوم والدفاع عنه ولهفهم، وإنّ العالم الإسلامي الذي طالته مؤامرات القوى الغربية وغرق في الحروب الأهلية والخلافات بين بلدانه تكاففاليوم ليستعيد حياته عبر دعمه غزّة. إذا كان قسمٌ كبيرٌ من العالم الإسلامي يخوض صراعات وخلافات داخلية إثر المشاريع الطالمة والنفعية للدول الاستعمارية والاستكبارية وانعدام صحوة الشعوب وامتلاكها الوعي أيضاً، فإنّ غزّة تصحّح اليوم توجّهه وتكشف عن هويّة عدوّ الأمة الإسلامية وتجمعها لتصبح صوتاً واحداً في وجه العدوّ الواحد وتقف في جبهة واحدة، لو أنّ إرادة المسلمين أصبحت محدودة بسبب هيمنة القوى الغربية والصهاينة، فإنّ غزّة تفكّ هذه القيود اليوم عن أقدام الأمة الإسلامية.

لقد أماتت مقاومة غزّة الملهمة للحياة اللثام عن وجوه أعداء الأمة الإسلامية وأزاحت عن الطاولة الحلول المهادنة للطالم كلّها التي شارت بعض الدول الإسلامية على انتهاجها. كما إنّ الكيان الصهيوني وداعميه الأميركيين حاولوا، عبر الدفع بـ«الاتفاقية الإبراهيمية» قدماً إلى الأمام، تطبيع العلاقات بين الكيان الصهيوني والدول الإسلامية عبر فرض القوّة والعمل خلافاً لإرادة الأمة الإسلامية. أحبط «طوفان الأقصى» وأهالي مدينة غزّة هذه المؤامرة بنجاح وأحيوا قضيّة فلسطين في أوساط الأمة الإسلامية مرّة أخرى. إنّ أهالي غزّة عرضوا بصبرهم وجهادهم الحقيقة الإجرامية والدمويّة للكيان الصهيوني وداعميه، وأمريكا خصوصاً، الذين اختبأوا خلف قناع السلام، أمام الأمة الإسلامية وضخّوا مرّة أخرى الروح في نضال هذه الأمة وحربها ضدّ الكفر والاستكبار الغربي.

منذ السابع من أكتوبر وحتى اليوم، انطلقت مسيرات غير مسبوقة في عدد من الدول الإسلامية من أجل تقديم الدعم إلى أهالي مدينة غزّة، وخاصّ محور المقاومة المعركة مباشرة ضدّ الكيان الصهيوني الغاصب بوصفها دعماً مباشراً لأهالي غزّة.

إذا كانت الحياة القرآنية هي ما ننشده نحن المسلمين، فعلينا تقوية «نبضنا» وألا نكفّ عن شرح قصّة فلسطين و«دعم المقاومة بالسّبيل كافّة». الأمة الإسلامية حيّة اليوم أكثر من أيّ زمان مضى في العقود المنصرمة، وغزّة هي التي ضحّت فيها هذه الحياة